دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الثالث, ديسمبر 2006م (ص63-78)

الاستشراق : أخطر تحد للإسلام

شاكر عالم شوق*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:
فإن الإسلام هو الدين الإلهي الذي جاء به رسولنا محمد بن عبد الله – عليه أفضل الصلاة والتحية - ، وهو دين السلام والأمن ، ودين الحق والعدل، وهو دين العلم والمعرفة، وهو الدين الذي أرسل به الله – تعالى- رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور،(يخرجهم من الظلمات إلى النور)1 ومن الجور إلى العدل، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ولينقذ البشرية من هاوية الضلال، (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)2.

ولاشك في أن الإسلام قد واجه – ومازال يواجه- تحديات جمة عبر مسيرته الطويلة، منذ أن انبلج فجره من غار حراء بمكة المكرمة وإلى يومنا هذا. فالمسلمون تعرضوا لصنوف من العذاب والاضطهادات من قبل كفار مكة ومشركيها. وفي المدينة تعرضوا لحملات عسكرية من قبل الكفار والمؤامرات من قبل اليهود والمنافقين والمسيحيين، ثم واجهوا فتنة المتنبئين وتمرد المرتدين وتعنت مانعي الزكاة. كما واجهوا تحديات من قبل الروم والفرس، ثم من قبل الشيعة والخوارج والفرق الباطلة الهدامة. وكذلك واجه الإسلام حملات التتار والحملات الصليبية المتكررة، وحملات الغزاة المستدمرين الذين سموا أنفسهم بالمستعمرين. وتعرض الإسلام كذلك للغزو الفكري والثقافي في القرون الأخيرة والذي استمر إلى الوقت الراهن. وقد تنوع الغزو الفكري والثقافي إلى أنواع مختلفة حسب الزمان والمكان.

بيد أن الله – تبارك وتعالى- قد حفظ هذا الدين ورعاه من كل سوء ، كما وعد بقوله : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.)[3] فقيض رجالا أكفاء من هذه الأمة في كل عصر ومصر يدافعون عن هذا الدين القويم، ويسهرون ليلا ونهارا للحفاظ عليه، ورد الكيد على نحور الأعداء، وتفنيد مزاعم أعدائه و افتراءات مناوئيه. (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.)[4]

فمن أهم وأخطر أنواع هذا الغزو الفكري والثقافي: حركة الاستشراق(Orientalism). وهذه الحركة قامت بأبشع حملات على الإسلام بدلا من الحملات العسكرية، و هى حملات فكرية وعلمية – كما يدعون- وتعمل في أوساط العلماء والمثقفين والمفكرين، فهي أشد فتكا من الحروب والقتال بأسلحة الدمار الشامل. وقد مولت هذه الحركة – ومازالت تمول- الحكومات الغربية والكنائس المسيحية والصهاينة والشيوعية وغيرها ممن يحاربون الإسلام. فالاستشراق أداة طيعة للمنصرين وغيرهم ممن يعادون الإسلام ويعملون ليل نهار في إزالته ومحوه من سطح الأرض والكرة الأرضية كلها. وتوجد في الغرب معاهد ومؤسسات ومراكز تعنى بالدراسات الاستشراقية، ويعمل فيها مئات من الباحثين من غير المسلمين. وهدفهم في ذلك ليس إظهار المحاسن للدين الإسلامي بل إظهار المساوئ المزعومة له، وإلقاء الشك في قلوب المسلمين، وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم، ومنع غير المسلمين من أبناء دينهم و وطنهم عن الدخول في الإسلام الذي هو الدين الحق ودين العدل والمساواة ودين السلام والأمن. اللهم إلا أن قلة قليلة من المستشرقين تهديهم دراساتهم وبحوثهم إلى الحقيقة وإظهار الحق، ومن ثم إلى الاعتناق بالإسلام والدفاع عنه.

وإن الاستشراق قد غير اسمه في الآونة الأخيرة، وبدأ يطلق على نفسه اسم الدراسات الإقليمية أو الدراسات الاجتماعية بدلا من الدراسات الاستشراقية، لكن أعماله ونشاطاته قد بقيت على ما كانت

---

* الأستاذ المساعد لقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

عليه في السابق.[5]

فأردت في هذه العجالة- وبالله التوفيق والفضل- أن ألقي الضوء على هذه الحركة الخطيرة ببيان مفهومها ونشأتها وتطورها وأهدافها و وسائلها وأهم أعمالها ونشاطاتها. وأطلب من الله – تعالى- العون والنصر، فهو نعم المولى ونعم النصير.

مفهوم الاستشراق والمستشرق

أولا: الاستشراق لغة:

إن الاستشراق معناه بالإنجليزية: (Orientalism)، وهو مشتق من مادة ''شرق'' عكس الغرب، ومنه مشرق الشمس. فمعنى الاستشراق لغة: طلب الشرق.[6]

ومن هنا تدل كلمة الاستشراق على علم الشرق، والاهتمام بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف وثقافات وميزات وسمات حضارية متنوعة. فالمستشرق هو الإنسان الذى وهب نفسه للبحث والاهتمام بما يتعلق بالشرق، وما يدور فيه من علوم ومعارف، وقيم وحضارات، وفى مجالات مختلفة.[7]

ثانيا: الاستشراق اصطلاحا:

إن الباحثين قد اختلفوا كثيرا في تعريف الاستشراق والمستشرق، وذلك لاختلافهم فى تحديد معنى الشرق. ولعل أحسن تفسير لكلمتي الشرق والغرب حضاريا، ماذكره أحد الباحثين حين قال: ''أما الغرب فهو اصطلاح حديث جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأروبيون فى عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب. ويعنون بالغرب أنفسهم، ويقصدون بالشرق أهل آسياو أفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم واستعمارهم، وجرينا نحن على هذا الاستعمال. لكن الكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحا واستعمالا فهى قديمة في مفهومها ودلالتها. فقد كانت فى العالم منذ زمن قديم قوتان متصارعتان: إحداهما فى الشرق والأخرى فى الغرب. ويمثل ذلك فى الصراع بين الفرس والروم، ثم فى الصراع بين المسلمين والروم، ثم فى الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم فى الصراع بين العثمانيين والأوربيين مدا وجزراً ثم كان آخر فصول هذه الملحمة العلاقات والصلات بين الشرق ممثلا فى آسيا وأفريقيا، وبين الغرب ممثلا فى أوربا وأمريكا.[8] فالخلاصة: الشرق هو مجموعة الأقطار الآسيوية والأفريقية، والغرب هو مجموعة الأقطار الأوربية والأمريكية.

وفى اصطلاح بعض الباحثين الخاص، منهم الدكتور محمد فتح الله الزيادى: الشرق هو مجموعة الأقطار التي تغلب على سكانها الصفات التالية: في الديانة: الإسلام، وفي الحالة الاقتصادية: الفقر، وفي الحالة السياسية: التعرض لألوان من الاستعباد والاستعمار من قبل غيرهم، وفي الحالة الاجتماعية: تشابه فى السلوك والعادات والتقاليد، وبالمقابل الغرب هو مجموعة الأقطار التي تغلب على سكانها الصفات التالية: في الديانة: المسيحية، وفي الحالة الاقتصادية: الغنى، وفى الحالة السياسية: حمل النظرية الاستعمارية والاستدمارية، وفي الحالة الاجماعية: تشابه فى السلوك والعادات والتقاليد.[9]

مفهوم الاستشراق عند العلماء والباحثين:

ذهب العلماء والباحثون إلى مذاهب شتى، وأبدوا آراء متنوعة حول مفهوم الاستشراق اصطلاحا، نتيجة اختلافهم في تحديد وتعيين مفهوم الشرق نفسه. فنذكر أهم هذه الآراء فيما يلي:

1- قال الدكتور إدوارد سعيد فى كتابه ''الاستشراق'': ''إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراقاً . . .. فالاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع

الشرق بإصدار تقريرات حوله ووصفه ودراسته والاستقرار فيه والسيطرة عليه وحكمه. وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه''. [10]

2- وفي رأي الدكتور محمد فتح الله الزيادي الاستشراق ''هو دراسة الشرق عموما ودراسة الإسلام والمسلمين خصوصا بقصد التشويه والتشكيك''.[11]

3- وقال الدكتور شكري النجار: ''إن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه، ومحاولة إعادة توجيهه والتحكيم فيه.'' [12]

4- قال الدكتور محمود حمدي زقزوق: ''الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة ''مستشرق'' بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله؛ أقصاه ووسطه وأدناه، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاسشراق الذي يعنى ''الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده و تشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق.'' [13]
والذي يتبادر إلى الذهن أن الاستشراق هو دراسة الإسلام والمسلمين والعرب من قبل غير المسلمين خاصة بقصد التشويه والتشكيك فيه، لأن معظم بحوث هذه الفئة ودراساتهم تركزت عليها. [14]

فمن هو المستشرق؟

وقد قلنا إن الباحثين اختلفوا في تحديد معنى الشرق، وعنه نشأ اختلافهم فى تحديد مفهوم الاستشراق والمستشرق، فعرف كل منهم حسب وجهة نظره، وفيما يلي نلخص بعض تلك التعاريف:

1- قال الدكتور/ إدوارد سعيد: ''المستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه.''[15]

2- وقال الدكتور/ محمد محمد حسين: ''إن اصطلاح المستشرقين اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة من الباحثين والعلماء، الذين يعملون في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب واللغات والديانات والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق، مثل: الهند والفرس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من الأمم والشعوب.'' [16]

3- قال المفكر الإسلامي مالك بن نبي: ''إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.'' [17]

4- قال الدكتور/ علي الخربوطلي: ''المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية.''[18]

5- قال الأستاذ محمد كرد علي: ''المستشرقون هم من يعنون بالبحث فى لغات الشرق وعلومه.'' [19]

6- وقال الأستاذ/ منير البعلبكي في قاموس المورد: ''المستشرق هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته''.[20]

7- وقال الدكتور محمد فتح الله الزيادي: ''المستشرق كل متخصص غربي في البحث والدراسة حول الإسلام والمسلمين بقصد التشويه والتشكيك فيه.'' [21]

فالخلاصة : أن المستشرق هو كل من يتخصص في بحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق خاصة الإسلام والمسلمين.

نشأة الاستشراق وتطوره

لاشك في أنه من الصعب جدا تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وليس هناك دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق. فاختلف الباحثون في نشأته وبدايته. ربما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الاستشراق أو بيان الأسباب والدوافع أو بداية الاستشراق بمحاولة فردية أو منظمة. ونلخص فيما يلي بعض تلك الآراء:

1- هناك من قال: إن الاستشراق بدأ في القرن السادس قبل الميلاد، ويراد به زيارة الشرق والسفر إليه والاطلاع على تقاليده و تاريخه ثم الكتابة عنه ، بغض النظر عن الجانب الديني أو السياسي أو العلمي، كالمؤرخ اليوناني الإغريقي " هيردوتس" يعتبر أول مستشرق لأنه زار الشرق و كتب عنه في القرن السادس قبل الميلا د.[22]

2- يقول بعض الباحثين : إن الاستشراق بدأ في القرن السابع الميلادي في العهد الأموي حيث قام العالم النصراني يوحنا الدمشقي (686-749م) بدراسة الإسلام بقصد التشويه والتشكيك، ولأجل حماية إخوانه النصارى. ومن كتبه: محاورة مع المسلم، وإرشادات النصارى في جدل المسلمين.[23]

3- قال البعض : إن الاستشراق انطلق من الأندلس في القرن الثامن الميلادي، حيث دخلها المسلمون في عام 711م، واحتك سكان أوربا من المسيحيين وغيرهم مع المسلمين، واختلطوا معهم اختلاطا علميا وثقافيا في جامعات المسلمين ومعاهدهم ومدارسهم هناك، وتتلمذوا عليهم، ثم رجعوا إلى بلادهم وأوساطهم متأثرين بالثقافة الإسلامية.[24]

4- وقال الآخرون: إنه بدأ في القرن العاشر الميلادي، حيث توافد رجال من أوربا إلى الأندلس، ودرسوا في جامعات المسلمين اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية ، وكذلك الطب والكيمياء والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم التجريبية، ثم قاموا بترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، وعلى رأسهم الراهب الفرنسي جربرت.[25]

5- قيل: إنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك حين ترجم الراهب الإنجليزي" هرمان" القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143م، وكما صدر أول قاموس عربي-لاتيني في هذه الفترة.[26]

6- وقيل: بدأ الاستشراق في القرن الثالث عشر الميلادي، وذلك بعد انتهاء الحروب الصليبية التي بدأت عام 1095م، وانتهت عام 1291م بهزيمة نكراء للصليبيين، فتوجهوا إلى دراسة أسباب غلبة المسلمين وفوزهم. وهكذا بدأ الاستشراق.[27]

7- وقيل: بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي، وهو بداية الاستشراق الرسمي، حيث صدر قرار من مجمع فيينا الكنسي عام 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدة جامعات أوربية.[28]

8- وقيل: بدأ في القرن السادس عشر الميلادي، وهو ما يسمونه فترة الإصلاح الديني، وفيها بدأ اتصال الغرب المسيحي بالشرق المسلم اتصالا اقتصاديا - سواء في كشف موارد الثروة فيه أو في استغلالها ونقلها إلى الغرب- في صورة تبادل تجاري أو في صورة أخرى.[29]

9- وقيل: بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي أي بالتحديد بعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، حين جاء نابليون (Napoleon Bonaperte) إلى مصر، وحمل معه عددا كبيرا من

العلماء، كما حمل معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة وطبعها ونشرها.[30]

وهذه أقوال العلماء والباحثين باختصار حول نشأة الاستشراق، لكنه من العسير جدا بل من غير الممكن تحديدها تحديدا زمنيا أو مكانيا.[31]

أهداف الاستشراق

مما سبق قد عرفنا أن الاستشراق هو القيام بدراسات وبحوث حول الشرق وما يتعلق به من دين وعقيدة وعلم وفن وثقافة وحضارة وتقليد وغيرها، وكما عرفنا أن المستشرقين قد بذلوا جهوداً كبيرة وأموالاً طائلة، بل بعضهم قد أفنوا حياتهم في مثل هذه الدراسة. فبعضنا يندهش ويتعجب فيتساءل: ما الذي يدعو الباحث الغربي إليه؟ ما الذى يحمله على ذلك؟ وما هي الأهداف التي ينشدها وترمي إليها؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن معرفة الدوافع الحقيقية هي التي تحدد الهدف الذي يسعى إليه المستشرقون من خلال دراساتهم وبحوثهم حول الشرق، وبالأخص الإسلام والمسلمين، فهذا العدد الهائل من المستشرقين في عديد من بلاد العالم الذين سخروا كل جهودهم، بل أفنوا أعمارهم في دراسة وتحليل حضارة غريبة عنهم، بالتعاون مع الدوائر الاستعمارية التي تغدق عليهم الأموال وتمدهم بكل الإمكانيات. ولاشك أن كل ذلك يحمل في طياته أهدافا كثيرة يسعى هؤلاء الغربيون إلى تحقيقها والاستفادة منها. ويمكن لنا أن نصنف هذه الأهداف إلى هدف ديني وهدف اقتصادي أو تجاري وهدف سياسي وهدف علمي وغيرها.

أما الهدف الأول فهو الهدف الديني:

يتبين لدى كل باحث عن الاستشراق دون شك وارتياب، أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الاسلامية والعربية في أوربا.[32] وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، ويتمثل هذا الهدف الديني في اتجاهات ثلاثة وهي:

أ ـ محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها، وإعطاء صورة مشوهة عنه، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والإنقاص من قيمته والحط عن قدر نبيه صلى الله عليه وسلم.

ب ـ حماية النصارى من خطر الإسلام ـ حسب زعمهم ـ بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

ج ـ تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم عن طريق التشكيك في كتابهم ونبيهم ودينهم وتراثهم وحضارتهم.[33] ولتحقيق هذا الهدف قام المستشرقون بالخطوات التالية:

أولا: التشكيك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: فينكر جمهور المستشرقين أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نبيا موحى إليه من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ، ويحاولون بكل جهودهم إبعاد صفة النبوة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتخبطون في تفسير ظاهرة الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي حينا بعد حين، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا. وبالرغم من أنهم لاينكرون ظاهرة الوحي عامة والأنبياء كلهم من النصارى أو اليهود وهم يعترفون بهم. كما قال المستشرق ''نولدكه'': ''إنها نوبات الصرع تعتري على محمد من حين لآخر.''[34]

ثانيا: التشكيك في مصدر القرآن الكريم وصحته : فهم يرون أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ استمد القرآن من الكتب اليهودية والنصرانية، وينكرون أن يكون القرآن كتاباً منزلا عليه من

عند الله ـ عز وجل ـ . وحين يفحمهم بما جاء في القرآن من حقائق علمية ويواجهون بالردود العلمية الصحيحة، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي وعبقريته وقوة بيانه، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه.

ثالثا: التشكيك في الدين الاسلامي نفسه: فهم يقولون: إن الدين الإسلامي ليس دينا منزلا من عند الله، بل هو دين مستمد من الديانتين اليهودية والمسيحية، وليس لهم في ذلك مستند ولا دليل يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات باطلة. مثل: بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام والديانات لسابقة، وإتصال النبي بعناصر يهودية ومسيحية. قال المستشرق اليهودى ''جولد زيهر'': إن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثرا عميقا.[35]

رابعا: التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويمثل دعامة متينة من دعائم الشريعة الإسلامية، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع. فيستند هولاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع و دس وتحريف، متناسين جهود العلماء المسلمين في تنقية وتمييز الحديث الصحيح من غيره، وإثبات ما نسب إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري. وقد دحض وفند افتراءاتهم الزائفة الدكتور مصطفى السباعي في كتابه ''السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي''.

خامسا: التشكيك في معظم جوانب التراث الاسلامي العلمي والحضاري، فهم يزعمون أن الفقه الاسلامي قد استمد من الفقه الروماني. وقد بين علماؤنا الباحثون المحققون تهافت هذه الدعوى، وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد في ''لاهاى'' من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمدا من أى فقه آخر، ما يفحم المتعصبين منهم، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا. كما يرون أن اللغة العربية غير قادرة على مسايرة التطور العلمي حتى تظل اللغة العربية عالة على المصطلحات الغربية، التي تشعر بفضلهم وسلطانهم الأدبي، وتشككهم في غنى الأدب العربي وإظهاره مجدبا فقيراً لتتجه الأمة العربية والإسلامية إلى آدابهم. وهذا هو الاستعمار الأدبي. وكل ذلك كان بهدف إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم الفكري والحضاري، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا حتى يتسنى للاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الدخيلة بينهم.[36]

الهدف الثاني: الهدف الاستعماري:
عندما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وفشلهم، ـ وهي في الحقيقة حروب استعمارية وإن كانت كحروب دينية ـ لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد الإسلام والعرب. فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد، وجندوا لها علماء بارزين يبحثون عن كل شأن من شئونها من عقيدة وتقاليد وعادات وأخلاق وثروات وغيرها، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيستغلوها.

ولما تم الاستيلاء والسيطرة على البلاد الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، بدأ المستعمرون فى تشجيع الدراسات الاستشراقية نظراً لحاجتهم الملحة إلى فهم أوضاع المسلمين فى البلاد التي استعمروها. حتى يتسنى لهم العمل لإضعاف روح المقاومة والوعي التحرري لديهم وبث الفرقة والوهن فى صفوفهم. وقد اتخذوا لذلك وسائل عديدة، أهمها التشكيك بفائدة ما فى أيدي المسلمين من تراث، وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية وحضارية وثقافية عادات. والتبشير بحضارة الغرب المادية وما عندهم من عقائد وثقافات باطلة زائفة والانفتاح عليها والميل إليها، و كذلك تفتيت وحدة المسلمين عن طريق إحياء مفاهيم جديدة تثير الفرقة والشقاق، وتزكي الحساسيات الدينية والطائفية مثل: القومية والشعوبية الحزبية التي منع عنها الإسلام لمتبعيه فاتحدت صفوفهم وازدادوا قوة

وعزا وكرامة وشرفاً، وذلك بقوة الإيمان والعقيدة والثقافة. وأما الاستعمار فأراد أن يفرق ويشتت بين صفوف المسلمين تنفيذاً لمبدأ ''فرق تسد''.

ولعل أخطرخطة استعمارية حاول المستشرقون وأتباعهم تنفيذها، هي محاولة القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن و أحد المقومات الأساسية للوحدة العربية الإسلامية. فلقد تعرضت هذه اللغة إلى محاولات عديدة كادت أن تعصف بها وتطمسها في أجزاء كثيرة من بقاع العالم العربي، مثل: تونس والجزائر والمغرب فى عهد الاستعمار الفرنسي، وفي الوقت الحاضر يقوم المستشرقون بتوجيه الدراسات العليا فى كثير من الجامعات الغربية من دراسة الفصحى إلى دراسة العامية، وتعميق البحث في اللهجات المحلية أمثال المستشرق ويلكوكس وويلمور، وتابعهم في ذلك بعض الباحثين العرب مثل سلامة موسى ولطفي السيد.[37]

الهدف الثالث: الهدف السياسي:

إن الدافع السياسي للمستشرقين يرتبط بالدافع الاستعماري، إلا أن الدافع الاستعماري قد انتهى تقريباً. وأما الدافع السياسي فمازال قائما. وذلك أن الدول العربية والإسلامية قد تخلصت وتحررت من نير الاستعمار بعد كفاح قوي ونضال متواصل، وأصبحت دولا مستقلة. وعنئذ أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين البلاد الغربية والدول الإسلامية، فاقتضت السياسة الاستعمارية الغربية والتفكير الاستعماري أن يكون في كل سفارة من سفاراتها أو قنصلياتها لدى الدول الاسلامية سكريتر أو ملحق ثقافي أو ملحق سياسي من الرجال الذين لهم باع طويل في الدراسات الاستشراقية ويحسنون اللغة العربية أو لغة أهل البلد، كي يتحملوا مهمة الاتصال برجال الفكر والثقافة والصحافة والسياسة، والامتزاج بهم والتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم. ومن ثم بث الاتجاهات والرؤى السياسية فيهم حسبما تريده دولتهم. حتى يكونوا أداة منفذة طيعة لكل مخططات الاستعمار وأساليبه. وكان هذا هو العامل الرئيسي والأساسي في تفجير الكثير من الصراعات الفكرية والسياسية في البلدان الإسلامية التي نتج عنها تغيير في الحكومات أو تغيير في بناء هيكل الدولة. وكذلك الانقلابات العسكرية والفتن التي تحدث في بعض الدول. يقول بعض الباحثين: لقد كان المستشرقون في اتصال دائم بوازرة الخارجية ووزارة المستعمرات لمعرفة القرارات الجديدة، وإن هذه البعثات التي يقومون بها إلى بلاد الشرق بين حين وآخر ليست بعثات علمية وإن ادعوا ذلك.

إن بعض المستشرقين كان هدفهم تأييد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية وتزويد الحكومة الغربية بمعلومات عنها، لتسهيل عملية الاستعمار وإحباط المقاومة الوطنية. فبعد استقلال الدول الإسلامية وخروج المستعمرين عن هذه البلاد سعت الحكومات الغربية لإبقاء العلاقات السياسية بينها وبين هذه الدول، فوظفت المستشرقين وعينتهم كسفراء أو موظفين في بعثاتها الدبلوماسية مسئولين وأعضاء في وفود أو بعثات علمية أو غيرها. فبهذه الوسيلة توغل بعض المستشرقين إلى البلاد الإسلامية، واتصلوا بالعناصر الوطنية البارزة من السياسين والقادة والصحافيين والمثقفين والعلماء، فبثوا فيهم الأفكار أو السياسة الغربية، وبذلك أصبحوا أداة طيعة للإسعمار والمستعمرين لتنفيذ سياساتهم في البلاد الإسلامية. وفي هذا المجال كان هدف المستشرقين هدفا سياسياً، ودعمتهم الحكومات الغربية.[38]

الهدف الرابع: الهدف التجاري أو الاقتصادي:

وهذا الهدف قد ظهر في عصر ما قبل الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي، واستمر حتى بعد استقلاله بعد أن كان الأوربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار. ولذا كان من الضروري السفر والتنقل إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية وطبائع وميول

سكانها، حتى يتمكنوا من التعامل على بصيرة مع تلك البلاد، ويحققوا من خلالها ما يرمون إليه بجعل هذه البلاد سوق استهلاك لمنتجاتهم وصناعاتهم.

وقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة 1539م إلى المسئولين في جامعة كمبردج والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية، مايلي: ''يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنسية في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهل.'' [39]

ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية.[40]

الهدف الخامس: الهدف العلمي:
من أهداف المستشرقين الهدف العلمي. فمنهم من دخل هذا المجال بدافع علمي محض، ولم يكن قصدهم من وراء ذلك إلا البحث والتمحيص و دراسة التراث العربي والإسلامي دراسة محايدة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف عددهم قليل جدا. وبالرغم من إخلاصهم وتحايدهم في البحث والدراسة لايسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والأمنية التى تفرق بين البيئات التاريخية الإسلامية التي يدرسونها وبين البيئات الأوربية المعاصرة اليى يعيشونها.

وهذه الفرقة من المستشرقين أسلم وأقل خطراً من الآخرين، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم. ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، لكنهم يلقون عنتا وشدة من المستشرقين الآخرين حيث يتهيمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم. كما فعلوا مع ''توماس أرنولد'' حين أنصف المسلمين في كتابه 'الدعوة إلى الإسلام' فقد برهن أرنولد فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم، وهذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع فى تاريخ التسامح الديني فى الإسلام. يطعن فيه المستشرقون المتعصبون ـ خاصة المبشرين منهم ـ بأنه كان مندفعا بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين، بالرغم من أنه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها.

ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام، والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي ''دينيه الذى عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه عام 1927م، وسمي باسم ''ناصر الدين دينيه'' وألف مع عالم جزائرى كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وله كتاب ''أشعة خاصة لنور الإسلام'' بين فيه تحايل قومه على الإسلام ورسوله. وقد توفى هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها.[41] وهذه هي الأهداف الرئيسية الواضحة للمستشرقين، وربما تكون هناك أهداف أخرى يرمي بعض المستشرقين إلى تحقيقها لكنها غير شائعة، ولذا غضضنا الطرف عنها.

وسائل الاستشراق
لتحقيق الأهداف التي ذكرناها، اتجه المستشرقون إلى كل الوسائل التي من شأنها النيل من الإسلام وأهله. وقد تنوعت تلك الوسائل، واختلفت باختلاف الزمان والمكان، وهي ما يأتي:

1 ـ تأليف الكتب: إن المستشرقين يؤلفون كتبا كثيرة في الموضوعات المختلفة التي تتحدث عن الإسلام والمسلمين، معتمدين في ذلك على إلمامهم البسيط باللغة العربية، مما أوقعهم في كثير من

الأخطاء المقصودة وغير المقصود. فكتبوا في الدراسات القرآنية والحديث والفقه والفلسفة والتصوف واللغة والأدب وغيرها.[42]

2 - إصدار المجلات : فالمستشرقون يصدرون المجلات العلمية التي تحتوي على كثير من البحوث والدراسات حول الإسلام وحول الشرق عموما، ومن أشهر تلك المجلات: مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن، ومجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ومجلة جمعية الدراسات الشرقية. ومن أخطر المجلات ذات الطابع الاستشراقى والإلحادي مجلة ''العالم الإسلامي'' التى أنشأها عميد التبشير العالمى صمويل زويمر عام 1911م، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة تحمل نفس الإسم وتصدر بنفس الروح. [43]

3 - إمداد الإرساليات التنصيرية: فالمستشرقون يقومون بإمداد الإرساليات التنصيرية بما تحتاج إليه من الخبراء، الذين يساهمون بخبراتهم وتجاربهم فى هذا المجال. فالاستشراق عبارة عن هيئة استشارية عليا، تعمل على رسم الخطط وإعداد الدراسات والبحوث، التى يجدها المنصرون وسيلة جاهزة للعمل بقوة ضد الإسلام، محاولين بذلك وقف نشره وتوسعه. ولعله من العسير جدا الفصل بين الاستشراق والتنصير، لأن زعماء حركة الاستشراق هم أيضا أعضاء مرموقون في حركة التنصير. كما أن الاثنين كليهما يسيران بتوجيه واحد وخط سير واحد، مستمدين من الدوائر الاستعمارية والكنسية، ويتلقيان مواردهما المالية من مصدر واحد.[44]

4 - إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية: فهم يلقون المحاضرات والدروس في الجامعات العربية والإسلامية، محاولين بذلك توثيق علاقاتهم بها، مما جعلهم يستدعون لإلقاء المحاضرات في الجامعات العربية والإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام في ديار الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام. [45]

5 - نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد العربية والإسلامية: قد استطاع المستشرقون أن يستأجروا عددا من هذه الصحف التي تصدر في كثير من البلاد العربية والإسلامية لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم. [46]

6 - عضوية المجامع والمؤسسات العلمية: يحاول المستشرقون الوصول إلى المجامع والمؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والإسلامية، وذلك كتسلل بعض منهم ووصولهم إلى المجامع اللغوية، كالمجمع اللغوي في مصر، كان من أعضائه المستشرق جب (Gibb) والمستشرق ونسنك (Wensink) والمستشرق ماسينيون (Masinyon) وكذلك في المجمع العربي العلمي بدمشق، وكان من أعضائه المستشرق الدنماركي بيدرسون (Pedrson) والمستشرق الإيطالي كيتاني (Ketani) والمستشرق الكولومبي جيتهل (Jotihel) . [47]

7 - عقد المؤتمرات الاستشراقية: يعقد المستشرقون المؤتمرات الاستشراقية التي يتدارسون فيها كيفية تحسين خططهم وتطويرها، وفق ما يستجد من ظروف جديدة في الأوساط التي يعملون فيها. وقد بدأت هذه المؤتمرات منذ عام 1873م، ولا تزال تعقد دوريا إلى الآن في أماكن مختلفة من العالم. [47]

8 - كتابة الموسوعة الإسلامية: من الغريب أن المستشرقين قاموا بكتابة الموسوعة الإسلامية بلغات مختلفة، لكن هذا العمل جاء نتيجة تخلي القادرين من المسلمين عن تأليف مثل هذا العمل المهم والضروري لكل أمة. فوجد المستشرقون ميدانا شاغرا واسعا لايزاحم فيه أحد. فأنشأوا دائرة المعارف الإسلامية وأصدروها بعدة لغات، واستطاعوا أن يبثوا فيها ماشاءوا من سمومهم وأفكارها. ورغم ذلك مع الأسف فإن هذه الموسوعة تعتبر مرجعا هاما لكثير من مثقفى الأمة العربية والإسلامية حتى هذه الساعة. [49]

9 ـ إعداد المعاجم العربية والقواميس اللغوية: وللمستشرقين باع طويل في مجال إعداد وتأليف المعاجم والقواميس اللغوية. ومن أشهرها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للمستشرق الألماني فلوجل الذي طبع عام 1842م، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي ألفه جماعة من المستشرقين منهم ونسنك.[50]

10 ـ الاستيلاء على المناصب الهامة وكراسي الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات: إن المستشرقين يتقلدون بعض المناصب الهامة، ويستولون على كراسي الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية حتى في بعض الجامعات العربية والإسلامية. ومن المعلوم أنه يوجد بالجامعات الغربية أقسام للدراسات الشرقية، ويتزعم هذه الأقسام المستشرقون عادة، كما يتولون فيها مهام التدريس والإشراف. [51]

فئات المستشرقين

إنه يظهر من خلال ما ذكرنا من أهداف ووسائل للمشتشرقين، أنهم ينقسمون إلى عدة فئات وأصناف، لكن الباحثين اختلفوا في بيان وتوضيح ذلك، كل وفق نظرتهم إلى المستشرقين وأعمالهم، وقد قسم الدكتور زقزوق[52] المستشرقين كالآتي:

1- فريق من طلاب الأساطير والغرائب: فمن هؤلاء الذين افتروا على الإسلام، واخترعوا بخيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة.

2- فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم في خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية.

3- فريق من المتغطرسين الذين أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعداوة وطعنا في الإسلام، من أمثال: بدويل وبريدوا وسيل من القرن الثامن عشر.

4- فريق تعرضوا للإسلام باسم البحث العلمي، ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب، فراحوا يتلمسون نقاط الضعف في الإسلام، يشككون في صحة الرسالة الإسلامية، وفي التوحيد الإسلامي، وفي القرآن الكريم حيث مصدره أو نصه، وفي الحديث النبوي الشريف من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، وفي قدرة اللغة العربية في مساير التطور وغيرها.

5- وهناك فريق التزموا في دراستهم للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية، فأنصفوا للإسلام والمسلمين، ووقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه.

6- وفريق تفرغوا لدراسة اللغة العربية وفقه اللغة والأدب العربي أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك، ولهؤلاء بحوث قيمة مفيدة في هذا المجال.

وأما الدكتور محمد فتح الله الزيادي[53] فقد قسم المستشرقين على أصناف تالية:

1- صنف كتب في علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية مبتعدا بذلك عن المنهج العلمي الصحيح، ومتأثرا في كل ما كتب بروح العداء التي زرعتها فيه الكنيسة، وهم كثيرون منهم المستشرق القسيس الأب لامانس(1862-1937م) وجولد زيهر وشاخت وديلاسي أوليري وغيرهم.

2- صنف كتب بروح علمية محاولا إفادة قومه بما يكتبه عن هذه الحضارة، فنتيجة لسيطرة الروح العلمية عليه وابتعاده عن تأثير الكنيسة ، فقد أكن الحب والإعجاب للإسلام شريعة ودينا، ولكنه لم يسلم من الخطأ، فيقع هذا الصنف أحيانا في الأخطاء غير المقصودة ، نتيجة عدم إتقان اللغة العربية وفهم أسرارها. ومن هؤلاء نجد الكونت هنري دي كاستري الذي

درس الإسلام دراسة عميقة، وكتب عنه كتابا فيما نشر بعنوان" الإسلام: سوانح وخواطر" وترجمه الأستاذ فتحي زغلول، ومنهم أديب روسيا الكبير تولوستوي الذي عرف حقيقة الدين الإسلامي، كما عرف أيضا الحملات الظالمة التي يشنها الحاقدون على الإسلام وعلى رسوله – صلى الله عليه وسلم-، غير أن المحير في الأمر، لماذا لم يعتنق أمثال هؤلاء الإسلام؟ ربما لأسباب مادية أو اجتماعية أو سياسية أو خوفا على أنفسهم أو مناصبهم وغيرذلك.

3- صنف كتب بروح علمية صادقة ودرس الإسلام دراسة عميقة حتى اهتدى إلى اعتناق الإسلام، وأصبح سيفا بارزا من سيوف الإسلام، يدافع عنه بكل ما أوتي من الإمكانيات، ويرد الشبه والمكائد التي يثيرها أعداؤ الإسلام، وهي مهمة تخلى عنها الكثير من مسلمي الوراثة الذين ورثوا الإسلام عن آبائهم وأجدادهم. ومن مقدمة هؤلاء اللورد هيدلي الذي كانت لإسلامه ضجة كبيرة نظرا لمركزه. ويقول اللورد عن سبب إسلامه:" عندما كنت أقضي- أنا نفسي- الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية، كنت أشعر دائما بأن الدين الإسلام به الحسن والسهولة، وأنه خال من العقائد الرومانية والبروستانتية." ومنهم أيضا الفونس أتيان دينيه سمي باسم ناصرالدين دينيه، ومنهم رينيه جينيو الذي أسلم وسمي باسم الشيخ عبد الواحد يحيى. وهناك تقسيمات وتصنيفات أخرى للمستشرقين ذكرها بعض الباحثين ، لكننا لا نوردها خوفا من الإطالة.

نشاطات المستشرقين وأعمالهم

إننا ذكرنا فيما سبق أهداف المستشرقين و وسائلهم عموما، وأحصينا الجوانب السلبية التي تغلب على أبحاثهم ودراساتهم، لكن المنهج العلمي في البحث والدراسة يحتم علينا أن نذكر أيضا الجوانب الإيجابية لهذه الدراسات والبحوث.

فالمستشرقون- مهما تكن أهدافهم وغاياتهم- قدموا خدمات جليلة ، وأسهموا مساهمة جبارة في مجالات الدراسات الإسلامية واللغة العربية، والتي تتمثل في إحياء كثير من التراث العربي والإسلامي، والمحافظة عليها في المكتبات الأوربية، وتتمثل كذلك في جهودهم القيمة المستمرة لإحياء التراث العربي والإسلامي ومدنيته وحضارته عن طريق طبع ونشر الكتب الهامة والمخطوطات النادرة وغيرها.[54] ويمكن لنا أن نلخص جهودهم وأعمالهم فيما يلي:

1- التدريس الجامعي : يوجد هناك في كل جامعة أوربية أو أمريكية تقريبا معهد خاص بالدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق والدراسات الشرقية ، مثل: جامعة ميونيخ حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية ومعهد لتاريخ الشرق الأدنى وحضارته، ويرأس كل معهد أستاذ ويساعده بعض المحاضرين والمساعدين. وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه، ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الاستشراقي الأكاديمي أوالدبلوماي أو السياسي أوفي مراكز البحوث وغيرها.

ولكل معهد مكتبة عامرة بالكتب والمراجع العربية الإسلامية القديمة والحديثة، وكل ما ينشر عن الدراسات العربية والإسلامية في البلاد الأوربية والبلاد الإسلامية . ويتفانى المستشرقون في أعمالهم ويخدمون أهدافه بإخلاص تام، ولهم صبر عجيب ونادر في البحث والدراسة وإحاطة تامة بالعديد من اللغات القديمة والحديثة .[55]

2- جمع المخطوطات العربية : اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية والإسلامية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي. وكان هذا العمل مبنيا على وعي تام و إدراك عميق بقيمة هذه المخطوطات، التي تحمل تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم والفنون. وبعد حملة نابليون على مصر عام 1798م تزايد نفوذ أوربا في الشرق، ساعد ذلك على جلب كثير من

الخطوطات العربية والإسلامية إلى أوربا، كما أن الجهات المعنية فيها ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق.

وإنه تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة أو مشروعة – إما بالشراء أو السرقة أو الاستيلاء عليها جبرا - ، وقد حظيت هذه المخطوطات في أوربا باهتمام عظيم، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والضياع، والعناية بها عناية فائقة، وفهرستها فهرسة علمية نافعة، تصف المخطوطات وصفا دقيقا، حيث الموضوع والمؤلف وتاريخ التأليف وعدد النسخ وغيرها. وضعت هذه المخطوطات تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصويرها.

وقد قام الوارد (Ahlwardt) بوضع فهرس للمخطوطات العربية الموجودة في مكتبة برلين في عشر مجلدات، بلغ الغاية فنا ودقة وشمولا ، واشتمل على عشرة آلاف مخطوط. كما قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوربية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة، تقدر بعشرات الآلاف بل قد يصل عددها إلى مآت الآلاف.

والحق يقال: إن هذه المخطوطات العربية والإسلامية قد اهتم بها المستشرقون اهتماما بالغا، وأولوا رعاية فائقة من الحفظ والعناية والفهرسة بأحدث وسائل، مالا يوجد في البلاد العربية والإسلامية. ونشعر بالأسى والحسرة عندما ننظر إلى حال المخطوطات النادرة التي توجد في بعض البلدان العربية والإسلامية.[56]

3 ـ التحقيق والنشر : لم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر، فقد قاموا بتحقيق كثير من كتب التراث العربي والإسلامي، وقابلوا بين النسخ المختلفة، ولاحظوا الفروق وأثبتوها، ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها ، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام والآيات والأحاديث، وأثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها ، وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحا وافيا مفيدا.

وهكذا استطاع المستشرقون أن ينشروا عددا كبيرا من المؤلفات العربية والإسلامية، التي أصبحت عونا كبيرا للباحثين الأوربيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق, وقد عرفنا كثيرا من كتب التراث محققة ومطبوعة على أيديهم . ومن هذه الكتب على سبيل المثال نذكر ما يأتي: سيرة ابن هشام، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والمغازي للواقدي، والكشاف للزمخشري، وتاريخ الطبري، و كتاب سيبويه، والاشتقاق لابن دريد، والأنساب للسمعاني، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، والملل والنحل للشهرستاني، وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسفي، وفتوح الشام للأزدي، وفتوح الشام للواقدي، والكامل للمبرد، والجمهرة لابن دريد، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وفضائح الباطنية للغزالي، وتاريخ اليعقوبي، والفهرست لابن النديم، وكشف الظنون لحاجي خليفة، والتعريفات للجرجاني، وطبقات الحفاظ للذهبي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتهذيب الأسماء للنووي، وصحيح البخاري، والمقتضب لابن جني، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والوافي للوفيات للصفدي، والتيسير في القراءات السبع للداني، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، والأغاني للإصفهاني، والأوائل للسيوطي، والطبقات لابن سعد، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والفقه الأكبر لأبي حنيفة وعدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة.[57]

4ـ الترجمة : لم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية ، بل قاموا أيضا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة. فقد نقلوا إلى لغاتهم كثيرا من دواوين الشعر، والمعلقات الشعرية، وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ

المماليك للمقريزي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وإحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال للغزالي، وغير ذلك من مئات الكتب في واللغة الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتنوعة ، فضلا عن ما ترجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من الفنون والعلوم المختلفة .

كما تمت ترجمة معاني القرآن الكريم لأول مرة في القرن الثاني عشر، وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية كافة. ووصلت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مائة وإحدى وعشرين لغة تقريبا في أنحاء العالم كافة. وأما اللغات التي تمت ترجمة الكتب العربية والإسلامية إليها هي: اللغة الإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية والفرنسية واللاتينية والهولندية وغيرها من لغات العالم.

5- التأليف : تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين ، وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب.[58] لقد ألفوا في التاريخ العربي والإسلامي، وعلم الكلام، والشريعة ، والفلسفة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وتاريخ اللغة العربية وآدابها، والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، والنحو العربي، وفقه اللغة العربية وغيرها. فلم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وقد ألفوا فيه.ولهم بعض مؤلفات قيمة ذات فائدة علمية للباحثين الغربيين والمسلمين على السواء، كما لهم مؤلفات أخرى تزخر بالطعن في الإسلام، وتمتلئ بالأكاذيب والافتراءات التي ليس لها في سوق العلم والمعرفة رواج ولا نصيب. ونشير هنا إلى بعض المؤلفات ذات القيمة العلمية كنماذج، وهي كالتالي:

أ- **تاريخ الأدب العربي**: هذا الكتاب ألفه المستشرق كارل بروكلمان، ولا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية والإسلامية. وقد قام بروكلمان بهذا العمل الضخم بمفرده, ولا يقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة فقط، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المؤلفات والمدونات الإسلامية، فهو سجل للمصنفات العربية – المخطوطة منها والمطبوعة - ، ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين. وقد صدر هذا الكتاب أولا في مجلدين عام 1897و1902م، ثم أتبعهما المؤلف بمجلدات ثلاثة تكميلية، فأصبح الكتاب في خمسة مجلدات. وقد اهتمت الجامعة العربية بترجمة هذا الكتاب تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدراكا منها أهميته لكل باحث عربي.

ب- **دائرة المعارف الإسلامية :** على الرغم مما لنا- نحن المسلمين- على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة، فإنها تعد ثمرة من تماي التعاون العلمي الدولد بين المستشرقين. وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة ما بين عام 1913م و 1938م، وقد تولت لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعات المصرية نقلها إلى اللغة العربية منذ عام 1933م، وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليقات هامة في أعقاب كثير من المقالات المدرجة فيها، لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون الذين كتبوا تلك المقالات.

ج- **المعاجم اللغوية والموضوعية** : إن للمستشرقين باعا طويلا في مجال المعاجم الموضوعية والقواميس اللغوية، وكان أول قاموس لاتيني- عربي ألف في القرن الثاني عشر الميلادي، كما ألف جورج فيلهلم فرايتاج القاموس العربي- اللاتيني الذي يستعمل حتى الآن. وبالإضافة إلى عدة قواميس صغيرة من اللغة العربية إلى لغات أوربية، مثل: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية وغيرها من اللغات الأوربية.[59]

ويوجد هناك مستشرقون ينفقون حياتهم وعمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم، مثل: أوجست

فيشر الذي قضى أربعين عاما في تأليف معجم اللغة العربية القديمة، وتعاون معه عدد من المستشرقين الآخرين. ونخص بالذكر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذي يشمل كتب الأحاديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد تم نشره في سبعة مجلدات ضخمة في الفترة من عام 1936م إلى عام 1969م، وتستفيد من هذا المعجم الجامعات والمعاهد الإسلامية والدارسون والباحثون جميعا. [60]

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

1- سورة البقرة، الآية : 275

2- سورة آل عمران، الآية : 103

3- سورة الحجر، الآية : 9

4- سورة الإسراء ، الآية : 81

5- المطبقاني: الدكتور مازن صلاح، موقع انترنت: مدينة سنتر

6- الزيادي: د. محمد فتح الله ، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط/1، 1984م) ص55

7- زقزوق: د. محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، (الكويت: سلسلة كتاب الأمة، ط/1، 1404هـ) ص18

8- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص57-58 و حسين: د. محمد محمد ، *الإسلام والحضارة الغربية*،(بيروت: دار الإرشاد، ط/1،1969م) ص11

9- الزيادي: د.محمد فتح الله، *من مذكرته لمادة الاستشراق* (ليبيا : كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، 1986م) ص 2

10- 10-سعيد: إدوارد، الاستشراق،(نيويورك: 1978م، بالانجليزية، نقلا عن موقع مدينة سنتر) ص78

11- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 61-62

12- زقزوق: محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص 20

13- النجار: شكري، *لم الاهتمام بالاستشراق*،(مجلة الفكر العربي، العدد/31، 1983م) ص 71 و زقزوق: محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص18

14- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 55-62

15- سعيد : إدوارد، *الاستشراق*، ص 78

16- حسين : د. محمد محمد، الاسلام والحضارة الغربية، ص 11

17- بن نبي: مالك ، *إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث*،(القاهرة: مكتبة عمار، 1970م)ص 10

18- الخربوطلي: د. علي ، *المستشرقون والتاريخ الإسلامي*، (القاهرة: جمعية الدراسات الإسلامية، 1976م) ص 12

19- علي: محمد كرد، *مجلة المجمع العلمي*(دمشق:المجلد 3) ص 75

20- البعلبكي: منير، *قاموس المورد*،(بيروت: دار العلم للملايين، 1985م) كلمة : المستشرق

21- الزيادي: د.محمد فتح الله، *من مذكرته لمادة الاستشراق*، ص 5

22- الحاج: د. ساسي سالم، *الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية*،(بيروت: دار المدار الإسلامي،

ط/1، 2002م) ج/1، ص 28 و موقع انترنيت مدينة سنتر
23- زقزوق: د.محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص 19
24- المرجع السابق، ص 20
25- السباعي: د. مصطفي، *الاستشراق والمستشرقون*،(بيروت: المكتب الإسلامي،ط/2،1979م) ص 14
26- البنداق: د.محمد صالح، *المستشرقون وترجمة القرآن الكريم*،(بيروت: دار الافاق الجديدة، 1980م)ص 90
27- البهي: د.محمد، *الفكر الإسلامي الحديث*،(بيروت: دار الفكر، ط/6، 1973م)ص 532
28- الزيادي: د.محمد فتح الله، *الاستشراق:أهدافه ووسائله*،(بيروت: دار قتيبة،ط/2، 2002م)ص 26
29- جريشة: د. علي وغيره، *أساليب الغزو الفكري*،(القاهرة:دار الاعتصام،ط/1،1977م)ص 19
30- الخربوطلي: د. علي، *المستشرقون والتاريخ الإسلامي*، ص 28
31- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 62-63
32- زقزوق: محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص 86
33- المرجع السابق، ص 87
34- السباعي: د, مصطفى، *الاستشراق والمستشرقون*، ص 23-24
35- زيهر: جولد، *العقيدة والشريعة*، نقلا عن *كتاب ظاهرة انتشار الإسلام* للزيادي، ص 94
36- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 95-101
37- الجندي: أنور، *الإسلام في وجه التغريب*، (القاهرة: دار الاعتصام،1970م)ص 30
38- الزيادي: د.محمد فتح الله، *الاستشراق: أهدافه ووسائله*، 33-43
39- السباعي: د. مصطفى،*الاستشراق والمستشرقون*، ص 21 و الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*،ص 83-84
40- زقزوق: محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص 88-90
41- السباعي: د. مصطفى، *الاستشراق والمستشرقون*، ص 22
42- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 96
43- المرجع السابق، ص 97
44- السباعي: د. مصطفى ، *الاستشراق والمستشرقون*، ص 24
45- المرجع السابق،ص 25
46- المرجع السابق، ص 25
47- البهي:د. محمد ، *الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي*، (بيروت:دار الفكر،ط/6،1973م) ص538
48- الجندي: أنور، *الإسلام في وجه التغريب*، ص 153
49- المرجع السابق، ص 154
50- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، ص* 102-108
51- السباعي: د. مصطفى، *الاستشراق والمستشرقون*، ص 26 و *السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي*،(بيروت: المكتب الإسلامي،ط/2، 1976م) ص 13
52- زقزوق: محمود حمدي، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، ص 90-91
53- الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 102-108
54- علي: محمد كرد، *الاسلام والحضارة الغربية*،(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط/3)ص 65 نقلا عن الزيادي: د.محمد فتح الله، *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها*، ص 109-114
55- المرجع السابق، ص 109-114
56- المرجع السابق، ص 109-114

57- المرجع السابق، ص 109-114

58- المرجع السابق، ص 109-114

59- السباعي: د. مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، ص 26

60- الزيادي: د.محمد فتح الله، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، ص 109- 114